وصية

لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الى ولده رحمة الله عليهما

استرعى نظري الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب ، في أثناء بحثه عن المخطوطات العربية في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ، الى رسالة لطيفة لابن قتيبة تقع في ثماني صفحات مثبتة في آخر مجموع مخطوط رقمه ١٧٠ ي ٢١ س ١ . والمجموع يحتوي على (١) الصحيفة المعروفة بالغراء والصحيفة المعروفة بالرحمة والصحيفة المعروفة بالصفراء لادريس النبي عليه السلام منقولة ألفاظها من اليونانية الى العربية (٢) رسالة دواء داء القلوب ومعرفة همم النفس وآدابها وغير ذلك (٣) كتاب الشبهات (٤) وصية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الى ولده . وذكر الناسخ في آخر كتاب الشبهات أنه فرغ من نسخه سنة ٤٨٦ هـ ، في ثغر الاسكندرية .

ورسالة ابن قتيبة كثيرة الثقوب ، قد أصاب العطب أطراف بعض صفحاتها فألصقت أوراق بيض عليها لصيانتها . وخط الناسخ فيها وفي سائر المجموع واجد . وهو خط مشرقي قاعدته مغربية . بيد أن خط الرسالة أدق . وعلى ذلك يكون تاريخ نسخها بعد وفاة ابن قتيبة بـ ٢١٠ سنوات . وطول الصفحة ١٨٫٥ سم . وعرضها ١٤ سم . وفي كل صفحة ٢٨ سطراً ، وفي كل سطر نحو ١٥ كلمة .

والرسالة فريدة لم يرد ذكرها في أي مصدر ـ حسب علمنا ـ ولعل السبب أنها كتبت قبيل وفاة صاحبها كما يذكر ، وانها تقع في بضع صفحات . فهي ليست كتاباً . على أنه لا شبهة في أنها لابن قتيبة نفسه . فالمباحث التي طرقها تتفق وآراءه في سائر كتبه ، وأسلوبه فيها يطابق أسلوبه في سائر مؤلفاته ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا سيما في تأويل مختلف الحديث ، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة . ويغلب على الظن أن ولده الذي كتب اليه هذه الوصية هو أحمد ابن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الذي روى كتب أبيه كلها بمصر حفظاً ، بعد أن قدمها على القضاء سنة ٣٢١ هـ . وتوفي فيها سنة ٣٢٢ هـ .

ويسعدنا حقاً أن نظفر بهذا الأثر النفيس الفريد لإمام من أئمة الأدب والفقه في القرن الثالث الهجري . وقد طبع بعد تأليف كتابنا عنه بالانجليزية [1] (من منشورات الجامعة الأميركية في بيروت رقم ٢١ سنة ١٩٥٠) كتاب الأشربة بتحقيق المرحوم محمد كرد علي سنة ١٩٤٧ ، وكتاب المعاني الكبير في ثلاثة أجزاء ضمن منشورات مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن (الهند) سنة ١٩٤٩ . وبلغنا ان الأستاذ السيد صقر يحقق كتابين من كتبه هما مشكل القرآن وغريب القرآن . ويبقى من كتبه المخطوطة : الانواء ، وتأويل الرؤيا ، وغريب الحديث ، وكتاب العرب المعروف بالرد على الشعوبية (انظر كتابنا بالانجليزية ص ٥٠ و ٥٣) .

وقد أثبتنا الرسالة كما هي ، واجتهدنا في ملء الفراغ الناجم عن الثقوب . وهي في جملتها تامة ، وان كنا نظن ان الناسخ أغفل سطراً أو سطرين في مكان واحد فقط عند كلامه على أوجه الايمان الثلاثة .

وأشكر للأستاذ عبد المطلب إرشادي الى هذا المخطوط النادر ومساعدتي في نسخه . وهو في الحق يبذل جهداً محموداً في البحث عن المخطوطات العربية وتصوير النادر منها لقسم المخطوطات في اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية . والله يجزل ثوابه ويتولى مسعاه بالتوفيق .

(الجامعة الأميركية) اسحق موسى الحسيني

(١) نقله الى العربية الأستاذ هاشم عبد الوهاب ياغي وستنشره دار بيروت للطباعة والنشر قريباً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وصية لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الى ولده رحمة الله عليهما

بسم الله الرحمن الرحيم . يا بني أُوصيك بوصية ان تمسكت بها رجوتُ لك النجاة ، وان استعملت ما فيها سُعدت ان شاء الله . واعلم يا بني ان أساس الدين كله التقوى والعاقبة لمن اتقى «والآخرة عند ربك للمتقين» (١) «ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه» (٢) «ومن يتقِ الله يُكفّر عنه سيئاته ويُعظم له أجراً» (٣) . وأصل الدين التقوى الذي مدار الأمور كلها عليه ، وهو قول لا إله الا الله لقوله عز وجل : «وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها» (٤) . فمن قام بحقوقها وشروطها وأدّى ما عليه فيها حتى يستكملها فهو من أهلها (بإذن) (٥) الله ، لأن الله عز وجل يقول : «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكةُ ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة» (٦) .

يا بني ألزِم التقوى قلبك والعمل الصالح جوارحك فان الله عز وجل يقول : «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خير» (٧) . فقد جمع الله عز وجل الخير كله في التقوى والعمل الصالح في قوله عز وجل «اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» (٨) . فمن اعتصم بقول لا إله إلا الله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها . ومن يعتصم بالله فقد هُدي الى صراط مستقيم .

---

(١) الزخرف ٣٥ . (٢) الطلاق ٢ و ٣ . (٣) الطلاق ٦ .
(٤) الفتح ٢٦ . (٥) الكلمة مطموسة في الأصل ولعلها باذن .
(٦) فصلت ٣٠ و ٣١ . (٧) التوبة ١٥٩ . (٨) فاطر ١٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واعلم أن التقوى أصل كل طاعة واجتناب كل معصية . وسبب ذلك كله العصمة والتوفيق ، وان من التوفيق أن يتقي العبدُ كل ما نهاه الله عنه ورسوله في السر والعلانية لقول الله عز وجل : « وذروا ظاهر الاثم وباطنه »[1] . والانسان عريان ولباسه التقوى فمن استتر بغير التقوى لم يستره شيء وتكشفت عورته لقول الله عز وجل : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خيرٌ ذلك من آيات الله »[2] .

يا بني التقوى أصل كل طاعة وهو اخلاص العمل لله ، وفرع التقوى اليقين ، فضع أساسك عليه يَعْلُ بنيانك ويقو إيمانك ويزدد يقينك .

يا بني اتق الله ونَمْ حيث شئت ، فان من اتقى الله في الأصل والفرع وما بين ذلك فقد فاز فوزاً عظيماً . واجعل التقوى زادك فان خير الزاد التقوى .

والتقوى اسم . وهو كلمة الاخلاص . والمتقي العبد الذي يتقي الكفر والشرك والنفاق وجميع العصيان حتى يخلص عبادته للرحمن . واتق الأهواء المضلة وجميع الحوادث في الدين واتبع السنة واقتد بالسلف وتمسك بالكتاب فان الله عز وجل يقول : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول »[3] يعني سنة رسوله صلى الله عليه . ولا دين إلا دين محمد ولا سنّة إلا سنة محمد عليه السلام .

يا بني قد جمعت لك السنة بحرفين فتمسك بها واعتمد عليها « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . »[4] ومع هذا فقد بينت لك شروطها وما يلزمك فيها . ومن السنة أن تقدم من قدم الله ورسوله ـ وخير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر رضوان الله عليه ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ـ وترحم على أصحاب النبي

(١) الأنعام ١٢٠ .
(٢) الأعراف ٢٦ .
(٣) النساء ٥٩ .
(٤) الحشر ٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم ، لأن الله عز وجل يقول : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا » [١] واترك النظر فيما شجر بينهم لقول الله عز وجل : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » [٢] .

ومن السنة الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وان الخير والشر من الله ابتلى به عباده لقوله عز وجل : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون » [٣] واعلم انه لا يكون في الأرض ولا في السماء إلا ما شاء الله وان الأمور كلها بيد الله وفي (قبضته) [٤] ولا ضار ولا نافع غير الله . وسبب كل طاعة التوفيق من الله . وترك كل معصية (التوفيق) [٥] من الله . ولا يقدر أحد يعصي إلا بعد ترك الله . ولا عذر لأحد عند المعصية غير الاعتذار الى الله مع الندم والتوبة الى الله . وأصل التوبة رحمة من الله فتح الله تعالى لآدم (بابها) [٦] وعم بها ذريته . والتوبة على العباد فريضة من الله لقوله عز وجل : « وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » [٧] وقوله عز وجل : « ثم تاب عليهم ليتوبوا » [٨] وباب التوبة (مفتوح) [٩] الى يوم القيامة . وتوبة العباد من توبة الله عز وجل لهم . والله يتوب على من يشاء من عباده . ولا تصح التوبة لأحد إلا بتوبة الله له فطوبى لمن رزقه الله التوبة وألهمه شكر النعمة . واحذر يا بني أن تعصي الله وتعتل بالقضاء والقدر لأن المعصية مصيبة في دين العبد وإن جرت عليه بالقضاء والقدر . والذنب لازم له . والعبد مستعبد ان يقول

---

(١) الحشر ١٠ .
(٢) البقرة ١٣٥ .
(٣) الأنبياء ٣٥ .
(٤) نصف الكلمة مطموس في الأصل .
(٥) الكلمة مطموسة في الأصل .
(٦) الكلمة مطموسة في الأصل .
(٧) النور ٣١ .
(٨) التوبة ١١٨ .
(٩) الكلمة مطموسة في الأصل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ربي اني ظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وتب عليّ انك أنت التواب الرحيم . ومن أخرج ذنبه من القدر فقد أشرك لأنه زعم انه قدر على الذنب بغير قدر ، ومن لم يؤمن بالقدر فقد كفر ، ومن أحال دينه على القدر ليعذر نفسه بالقدر فقد فجر ، ومن ادعى أن الاستطاعة والقدر والمشيئة اليه مع الله أو دون الله أو ملكه لله أو جعل الله أمر ذلك اليه دونه فقد أشرك نفسه مع الله . والشرك ظلم عظيم . لأن الله عز وجل يقول : «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» (١) فويل لمن لا يؤمن بالقدر أو يرى انه قادر ، لأن القدر من صفات الله لا صفات الخلق . ومن صفات الخلق الضعف والجزع والعجز . وكل من أضاف صفاته الى صفات الله فقد أشرك ، لأن الله عز وجل بان بصفاته عن صفات خلقه ، وثبت صفاته لنفسه ، وان الله تعالى أمر العباد أن يعبدوه باخلاص الوحدانية بقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأعجزهم عن أنفسهم عن إخلاص الوحدانية ولم يمنعهم عما أمرهم به ولم يقصرهم عليه واضطرهم في ذلك اليه بطلب المعونة والعصمة والتوفيق منه مع إظهار الفقر اليه والفاقة والمسكنة والاستعانة اليه حتى يتولى ذلك منهم لقوله عز وجل : «ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ، ولكن الله يزكي من يشاء» (٢) . فلا يزكى أحد من العباد وان بذلوا مجهودهم وطاقتهم إلا من زكاه الله عز وجل بحوله وقوته . وان الله عز وجل نهى العباد عن أمر ولم يحل بينهم وبينه وأعجزهم عنه ولم يضطرهم اليه ليكون له الحجة عليهم .

يا بني فابرأ الى الله عز وجل من حولك وقوتك واستطاعتك واسأله أن ينقلك بحوله وقوته مما يكره الى ما يحب ويرضى .

---

(١) النساء ٤٨ و ١١٦ . (٢) النور ٢١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يا بني إن الله عز وجل ركب في أنفس بني آدم خصلتين ، وهما من أعظم البلاء عليهم ، الهوى والشهوة . وركب فيهم الحرص وطول الأمل وأعظم من ذلك كله الشرك الخفي اذا عمل عملاً لله يريد أن يحمد عليه . وأدنى الشرك الرياء ، ورياء الأعمال كلها من الشرك الخفي . وان من السنة التبري من القدرية والمرجئة الذين يقولون الايمان قول والعمل شرائعه ، ويقولون من قال لا إله إلا الله مصدقاً به قلبه فهو مؤمن حقاً وان أتى الكبائر والفواحش . ويقولون ان ايمان الملائكة والأنبياء وسائر الخلق كلهم واحد لا يزيد ولا ينقص .

واعلم يا بني ان الايمان قول وعمل ونية وموافقة السنة . والشرائع كلها من الايمان . والايمان يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . والايمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأبدان . والايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل . والايمان ينصرف على ثلاثة أوجه ، الايمان من الله كله [1] شهادة الله لنفسه بالوحدانية وهو قوله عز وجل « شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة » [2] فهو الذي يزيد ولا ينقص [3] لأنه من الله لله وايمان الخلق بعدها وهو [4] يزيد وينقص بالطاعة . ومن قول أهل السنة أن يحمدوا الله عز وجل على جملة الايمان لأن الله عز وجل هداهم للايمان ويستثنون في الحقيقة إشفاقاً على الإيمان وإذا تحقق بالايمان (لحقهم الاشفاق وكل ما لم يحقق بالايمان) [5] فهو على النقصان من الاشفاق ، والاشفاق وقع على الصحة والنقصان على العلة ، والاشفاق للعبد يقين ، وسائر الناس في نقصان من المجتهدين والباقي هم من الجهال الغافلين . واعلم ان العبد اذا جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وبذل مجهوده لله على قدر طاقته واستغفر الله عز وجل من النقصان والتقصير الذي يدخل عليه فقد أدى لله ما يجب لله عليه في حق العبودية .

---

(١) هكذا في الأصل ولعلها لله . (٢) آل عمران ١٧ .
(٣) هكذا في الأصل ولعل العبارة لا يزيد ولا ينقص .
(٤) في الأصل ولا . (٥) زيادة في الهامش .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن السنة أن يعلم أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق في جميع ما قرئ وتلي ووعي ، منه نزل واليه يعود . ومن السنة صلاة الجمعة والعيدين والحج والجهاد مع كل امام براً كان أو فاجراً ولزوم الجماعة والصبر تحت لواء السلطان على ما يكون فيه من عدل أو جور ما لم يدع الى بدعة أو يترك سُنّة أو ينقض شريعة ، ودفع الصدقات اليهم ، والمحافظة على صلاة الجماعة من السنة المذكورة ، وتركها من غير عذر ضلالة ، وأشياء كثيرة قد بينتها لك في غير هذا الكتاب فتمسك بها .

واعلم يا بني أن أصول البدع كلها من خمسة : من القدرية والمرجئة والجهمية والرافضة والخوارج . ومنها تتشعب الفرق كلها حتى تنتهي الى ثلاث وسبعين فرقة الذي [1] جاء به الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، اثنتان وسبعون منها هالكة ، والواحدة منها ناجية الذي أنا عليه وأصحابي » . والجهمية الذين يقولون ان القرآن مخلوق ويؤمنون بالقدر ويقولون ان الله عز وجل حال في كل شيء كالشيء في الشيء وكالروح في الجسد والخوارج هم الذين يقولون بتقديم الشيخين أبي بكر وعمر ويرون إمامتهما ويتبرءون من عثمان وعلي . وقد بينتهم وسميت أئمتهم في هذا الكتاب .

واعلم أن العلم علمان : علم باللسان فذلك حجة الله عز وجل على خلقه ، وعلم بالقلب فذلك العلم النافع وهو التقوى والخوف والوجل والاشفاق من علم الله تعالى والخشية من الله ، وكفى بخشية الله علماً : « ومن يخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » [2] وليس لمريد العلم غاية ولا نهاية . والمعرفة معرفتان : معرفة إلهية وهي الاقرار بالربوبية . وهي مع كل ذي روح خلق الله . وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها . وهي وديعة الله فيهم وحجته عليهم . والثانية معرفة التوحيد الذي استعبد الله عز وجل عباده بها . وهي معرفة الديانة لله . والذي

(١) لعلها للذي . (٢) الأعراف ٢٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عرّف محمد صلى الله عليه وسلم بمعرفة الإلهية عرّف الله عز وجل العباد نفسه وهي الفطرة . والمعارف كثيرة . وكل إنسان له مقام من المعرفة على قدر قسمه منه . والذكر ذكران : فذكر باللسان وذكر بالقلب . والأفكار كثيرة . وكل طاعة لله فهي ذكر ، ومن أطاع الله فقد ذكر الله .

يا بني أنت ولدي وقرة عيني وحقك واجب علي ببذل النصيحة لك ، وقد أصّلتُ لك أصلك ، وأسست لك أساساً ان استقمت عليه فقد اهتديت وهديت الى صراط مستقيم ، وبالله اهتديت . « وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . »(١)

يا بني قد صحبت لك طوائف من الناس وبلوت أخبارهم فما رأيت طائفة أجل وأعظم قدراً من أهل الفقر الى الله عز وجل والفاقة والمسكنة الى الله عزّ وجل ، فالزمهم وجالسهم واخدمهم بنفسك وتواضع لهم بجسمك وتقرب الى الله عز وجل بالنظر اليهم ، وواسهم بما قدرت عليه ، وتغافل عن زلاتهم ، وأحسن ظنك بهم ، فان الله عز وجل يؤيدهم إذا ماتوا إن شاء الله .

يا بني إن استطعت أن تخالط الناس كلهم بخلق حسن تخالطهم ، وان لم تقدر فجانبهم وفارقهم على السلامة ، وخالص أولياء الله مخالصة ، وخالف أبناء الدنيا مخالفة ، وباينهم بالأعمال مباينة ، ولا تعير أحداً بذنب فتبتلي به ، ويشغلك ما تعلم من نفسك عن الاشتغال بغيرك ، واسع في صلاح قلبك يكفك الله شر نفسك .

يا بني اعمر قلبك بذكر الله عز وجل ، وجوارحك بطاعة الله ، وكف أذاك عن الناس تسلم لك حسناتك يوم القيامة من المظالم والقصاص . وإن أردت أن تكون أكرم الناس فتوكل على الله . وإن أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما عند الله أوثق منك بما عندك .

---

(١) الأعراف ، ٢٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يا بني ان الدنيا دار غرور ، وقد اغتر بها الأولون وستغر الباقين إلا من عصمه الله ، وقليل ما هم ، فتزوّد منها لمعادك ، وارض من الدنيا بما قسم الله لك ، ولا تغفل عن أيامك فتقع بك الحسرة والندامة عند الموت . وبادر الأوقات قبل فوتها من قبل أن يحال بينك وبينها ، واعلم ان الله عز وجل جعل الدنيا قنطرة الآخرة ، فاعبرها ولا تعمرها ، ولا تغتر بزينتها . واعلم أن متاع الدنيا قليل ، وانظر الى عاقبة أمرها في آخرها حتى لا تغتر بأولها .

يا بني من عقل عن الله سارع الى الخيرات وعمل في الباقيات الصالحات . واعلم أن الناس خلقوا للآخرة وابتلوا بالدنيا فهم سكان الدنيا أبناء الآخرة ، ينقلون بالموت من دار الى دار ، فاتعب نفسك في طاعة الله عز وجل قليلاً تنعم في دار الآخرة طويلا .

يا بني انه كان من وصية يعقوب لولده بنيامين : يا بني لا تتبع هواك فتفارق ايمانك ولا تُسيء الظن بالله فيحجب دعاؤك عن الله . ولا تتكلم بما لا يعنيك فتسقط من عين الله . ولا تظلم أحداً من خلق الله فان الجنة لم تخلق للظالمين .

يا بني لا يكن شيء آثر عندك من الله ، وتحبب الى الله عز وجل بمخالفة نفسك لله يحبك الله ويُحبّبك الى عباده ، ولا تتعب نفسك فيما تكفل الله لك به من الرزق المضمون ، واشتغل بالعمل المفروض . واعلم أنه لا عدو لك أعدى من نفسك فعاد نفسك برضا ربك .

يا بني أرض الخلق برضاء الله ، فان رضوا عنك فذلك من الله الذي أرضاهم لك ، وان لم يكن رضاء الله إلا بسخطهم فأسخطهم ولا تبال من سخط منهم عليك ، واقبل على شأنك ، وكن عارفاً بأهل زمانك ، وأحسن جوار من جاورك ، وعشرة من عاشرك ، وصحبة من صاحبك ، وعليك بمجالسة الفقراء أهل الفقر والفاقة والمسكنة الى الله واخدمهم بنفسك . وتحبب الى الله عز وجل في المحبة لهم وابذل لهم مالك وجاهك ، وتبرك بدعائهم ، ودم على صحبتهم ، فان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لهم يوم القيامة دولة ، وعند الله تعالى شفاعة ؛ وجانب الأغنياء المترفين الذين يتزينون بعمل الآخرة . واحذر مجالس علماء السوء الذين يتزينون بالعلم ويأكلون الدنيا أكلاً ، وان من شرار العلماء الذين يزورون السلاطين ويتصنعون لأبناء الدنيا لينالوا من دنياهم شيئاً . واعلم أن الزاهد من زهد في أموال الناس ، وبذل ماله ابتغاء مرضاة الله ، وقنع باليسير من الدنيا . والفقير الصادق من كتم فقره عن الناس ، ولم يشك ما به الى أحد من المخلوقين ، وقطع أسباب الطمع عن نفسه ، وصبر عند عدم الأشياء حتى يكون الله عز وجل موضع فرجه .

يا بني لا تطلب الدنيا لتستغني بها ، فانه ليس في الدنيا ما يغني العباد غير القناعة والبلغة منها .

يا بني خف الله خوفاً لا يكون شيء أخوف له منك ، وارج الله رجاء لا يكون أحد أرجى له منك ، وأحب الله حب من خالط لحمه ودمه وعروقه وشعره وبشره من فرقه الى قدمه ، وتوكل على الله تكف ، وثق بالله تقنع ، واذا أصابتك شدة أو نائبة أو مصيبة فتعز بثواب الله واصبر على بلاء الله وارض بقضاء الله تكن مؤمناً تستحق من الله حسن ولايته .

يا بني اذا أقبلت عليك الدنيا فلا تفرح لها ، واحذر أن تكون وبالاً عليك ، واذا أدبرت عنك فلا تحزن عليها رجاء أن يكون لك عند الله منزل ؛ وخذ من الدنيا ما ينفعك ودع منها ما يضرك ، ولا تستكثر منها فيطول حسابك ، فان السلامة منها ترك ما فيها ، وان أقبلت عليك الدنيا وأنت زاهد فيها لم يضرك وان أدبرت عنك وأنت راغب فيها أضرت بدينك ، فخذ منها القوت ، وقدم الفضل منها لنفسك ؛ ولا تكثر الضحك والمزاح فان كثرتهما تميت القلب وتذهب بنور الوجه ؛ وجالس العلماء ؛ واستمع كلام الحكماء يحي قلبك بنور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحكمة وتزدد في كل يوم علماً وفهماً ؛ واستشر في أمرك الذين يخشون الله ؛ واعرض حالك على العلم ، فان رأيت العلم يحمد حالك فذاك نعمة من الله عز وجل ؛ وازدد شكراً تزدد من الله قرباً . ومن شكر الله عز وجل استحق المزيد من الله . ومن استغفر الله استوجب الغفران من الله . ومن نسي الله غفل عن أمر الله .

يا بني أنا راغب الى الله في مسألتي له أن يجعلك خلفاً من بعدي تخلفني في علمي ومذهبي . وقد أملت ذلك من الله أن يجري الله منافع الخير على يدك ، ويكون ذلك سريعاً ان شاء الله .

يا بني إذا لقيت أحداً من اخواني واصحابي فأقرهم مني السلام وأخبرهم عني بالله عز وجل ، قال : «أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا»[1] . «فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور»[2] . واعلم أن الله عز وجل بنى داراً لمن لا دار له يجمع فيها من لا فعل له . فلا تتعب نفسك وقلبك في شيء يصير مهناه لغيرك وحسابه عليك ، فاطلب من الدنيا الكفاف وتزود منها للمعاد . واعلم انك ميت لا محالة ، فكن من الموت على يقين ، ولا تطل أملك في الدنيا ، فانه ليس فيها ما يغني عن الفقر والرضى ، فاسأل الله عز وجل القنوع والرضا ، ولا تبسط يدك كل البسط ولا تقبضها كل القبض ، ولتكن بين ذلك قواماً . واقصد في معيشتك واحذر الاسراف والتبذير ، فان من علامة فقه الرجل القصد في المعيشة .

يا بني من ترك الدنيا زاهداً فيها أقبلت عليه الآخرة وأتته الدنيا راغمة . ومن كانت الدنيا همه قلت عن الآخرة رغبته . وكل من أعطي من الدنيا شهوة

(١) القصص ٦١ .
(٢) لقمان ٣٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يحال بينه وبين أمنيته من الآخرة واعلم ان الدنيا حلوة خضرة ، والآخرة مرة كريهة ، فمن صبر على مكاره الدنيا وصل الى نعيم الآخرة .

يا بني لا تسل الناس شيئاً واستغن عنهم بغنى الله ، ولا تطمع بأحد غير الله وإن أصابتك شدة فاستعد لها الصبر ، فان الفرج كله مع الصبر ، ولا تشك ما بك إلا إلى الله عز وجل ، واكتم حالك في نفسك جهدك ، فان قل صبرك فاشك ما بك إلى إخوانك وخاصة أصحابك .

يا بني إن أباك قد عزى نفسه عند إخوانه وأصحابه بأنه أيقن بالرحيل فهو يتوقع الأمر صباحاً ومساءً فعز نفسك فان الله عز وجل يقول لنبيّه صلى الله عليه وسلم «إنك ميت وإنهم ميتون»[1] ، فاستعد للقاء وتزود للرحيل ، ولا تغتر بالبقاء إذ كان آخر الدنيا الى فناء وكل ما فيها الى زوال . واعلم أن الدنيا بحر عميق لا غور لها قد غرق فيها الماضون وسيغرق الباقون فان استطعت أن تخطو الدنيا الى الآخرة خطوة واحدة فافعل ، وإن كانت عليك فيها مشقة . ان العامل[2] اللبيب من قدم دنياه لآخرته ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، وخالف نفسه ولم يتبع هواها .

يا بني ان أردت أن يرفع الله قدرك ويعلو في الملكوت ذكرك ويحبك الله ويُحبّبك الى عباده فعليك بلين الكلام وإفشاء السلام وخفض الجناح لمن اتبعك من المؤمنين ، واجهد نفسك الى أن تحسن الى كل من أساء اليك ، واعفُ عمن ظلمك ، وكن كهفاً لمن التجأ اليك ، وخالق الناس بخلق حسن . ولا تعبس وجهك فيغلظ كلامك ؛ وان اعتراك الغضب فاذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل ، وراقب الله جل ثناؤه حق مراقبته ، واستحي من الله كل الحياء .

---

(١) الزمر ٣٠ .

(٢) هكذا في الأصل ومن الجائز أن تكون العاقل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واعلم أنه معك يسمع ويرى فالزم قلبك علم هذا ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان » .

يا بني اذكر الله يذكرك ، وتقرب (الى) [1] الله يقربك ، وتحبب الى الله يحبك . واذا شرع لك أمران ، أمر دنياك وأمر آخرتك ، فآثر أمر آخرتك على أمر دنياك ، وقدم أمر الله في كل حال واعلم أنه من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه في دنياه وآخرته . احفظ الله يحفظك معناه احفظ سريرتك يحفظ الله لك علانيتك . من أصلح سريرته أصلح الله له علانيته . ومن أصلح بينه وبين الله أصلح الله بينه وبين الناس . وتعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة معناه اشكر الله في الرخاء لا ينسك في الشدة .

واعلم يا بني أن الله عز وجل على لسان كل قائل فاعرض كلامه على قلبك ، فما كان لله فيه رضى فتكلم ، وما كان للنفس فيه هوى فاصمت ، وان كان حقاً . واذا نكلمت فتكلم لله ؛ واذا سكت فاسكت لله ، واذا أعطيت فأعط لله ، واذا أمسكت فأمسك لله . واجعل حركاتك وسكونك كلها لله ، حتى تكون عند الله عبداً خالصاً مستخلصاً من الأهواء كلها . واحذر مجالسة كل غني أبطره غناه ، ولا تمدن عينيك الى زينة المترفين في أموالهم ، فربما ذهب بشعاع أبصار القلوب . وإياك والخلوة بالنساء والأحداث فان الشيطان يزين للعبد في نفسه الفاحشة بالمحادثة لهم والنظر اليهم حتى يوقعه فيها . واحذر المراء والجدال والخصومات في الدين ، فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه . وقال جل ثناؤه : « ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا » [2] . واعلم أن الدين نصيحة والمجالس بالأمانة . وعلينا النصيحة وقبول الحق لمن أوضح الله حجته ووفقه لإصابة الحق . ومن لم ينتفع بقليل الحكمة ضره كثيرها . ومن

(١) زيادة منا يقتضيها المقام . (٢) غافر ٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عمل بقليل العلم أدّاه قليل العلم الى كثيره . وخير العلم ما نفع . وأعوذ بالله من علم لا ينفع . وانما يراد من العلم العمل . ومن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم . وانما نزل العلم والقرآن من عند الله ليعمل به ، فاتخذوه لباس رياسة وضيعوا العمل به فصار حجة عليهم لأنهم حفظوا حروفه وضيعوا حدوده ، وتزينوا به عند العامة وأكلوا به الدنيا ، فاستعذ بالله من فتنة العلماء ومن منافقي القراء ، فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها » وقال صلى الله عليه وسلم : « يكون قوم من أمتي في آخر الزمان مساجدهم منهم عامرة وقلوبهم من الهدى خربة ، علماؤهم شرّ من تحت أديم السماء ، منهم بدت الفتنة وفيهم تعود » . واعلم أن الله عز وجل جعل الخير في قليل من الناس لا في كثير لقوله عز وجل : « وقليل من عبادي الشكور » [1] ، وقوله عز وجل : « وقليل ما هم » [2] ، و « قليلاً ما تذكرون » [3] ، « وما آمن معه إلا قليل » [4] وما قل وكفى خير مما كثر وألهى . والله عز وجل يقول : « من رضي مني بقليل من الرزق رضيت منه بقليل من العمل » فأقِلّ من الطعام والشراب والنوم ؛ واقلل من الكلام فيما لا يعنيك . وليكن كلامك حكمة ، ونظرك اعتباراً ، وصمتك تفكراً . فان الله عز ذكره لم يخلق هذا الخلق عبثاً ، ولم يتركهم سدى ولم يهملهم كلهم همجاً . وخير العلماء الحكماء الرحماء الحلماء ثم المتمسكون بعلمهم والمتبعون لآثارهم والباقي همج لا خير فيه . وعليك بالجوع والزهادة ، فان لله عز وجل عباداً لهم درجات عند الله لا ينالونها [5] إلا بذلك ، وفي الدنيا يعطيهم الحكمة . ولم أر شيئاً مما يستعمله المبتلى ببطنه وفرجه أنفع له من الجوع والعطش والخوف من الله ، وان ينصب الموت بين عينيه ، ويذكر

(١) سبأ ١٣ . (٢) ص ٣٤ . (٣) الأعراف ٣ .
(٤) هود ٤٠ . (٥) في الأصل ينالوها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقوفه بين يدي الله عز وجل خائفاً ذليلاً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . وأكثر آفة الناس من البطن والفرج وهما الأجوفان ، فطوبى لمن عصمه الله عز وجل من بطنه وفرجه .

يا بني ارحم الأغنياء لقلة شكرهم ، وارحم الفقراء لقلة صبرهم ، وارحم الغافلين لكثرة غفلتهم واغترارهم بالدنيا ، كل من عليها مرحوم من الجن والانس والطير والدواب والسباع والأنعام مبتلى بعضهم ببعض ومسلط بعضهم على بعض . وأعظم البلاء لبني آدم لأنهم مأمورون منهيون ، والبهائم وغيرها من الدواب معابون بسبب بني آدم وليس لهم عقوبة ولا لهم ثواب ، ولا عليهم عقاب في الآخرة ، حكم الله جار عليهم في الدنيا وما الله بظلام للعبيد .

يا بني احذر من الناس من يخدعك بالله ويجرك الى نفسه ليستأصلك ويستخدمك وهم العلماء السوء الذين يحتالون على الدنيا بالدين ويأكلون أموال الناس بالباطل فانهم شرار الناس في كل زمان . واعلم أنك إن أطعت الله عز وجل بالصدق والاخلاص أطاعك كل شيء وهابك الفجار وعلتك السكينة والوقار وأثبت في ديوان الأخيار .

يا بني أحسن جوار نعم الله عليك بالشكر له . فما زالت نعمة عن قوم فكادت أن ترجع اليهم سريعاً .

يا بني طب عن الأمة نفساً وارض بالرحمن أنساً ، فما عليها أحد بعدل في الخبرة فلساً .

يا بني وفقنا الله وإياك لمحابه وجميل مواهبه وجعلك أهلاً للموعظة ونفعك بها .

تمت الوصية لابن قتيبة رحمة الله عليه وصلى الله على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net